نقمة جميلة . ونعمة سيئة

قبل أن يتهيأ للوضوء والخروج إلى صلاة الجمعة، قالوا له إن حشمت بك عاد إلى القصر.. فأسرع أشرف بركات للقائه.. وفور مقابلته هتف به حشمت:

ـ «الكلب لعب بنا.. ولحس وعده قبل أن يغادر بوابة القصر..»

ابتسم أشرف فى مرارة وتعجب ودعاه إلى الجلوس:

ـ «احك لى بالتفصيل ما حدث.. واذكر لى كلّ كلمة قالها لك..»

وانبرى حشمت لسرد كل التفاصيل فسردها.. ونال أشرف فرصته كاملة فى الاستماع بهدوء كعادته.. إلى أن لاحت على محياه ابتسامة من نوع آخر مع نهاية حديث أخيه، وقال له:

ـ «هذا الولد لن يرتاح إلا إذا وجدنا له الأمان»

ـ «رجل لا يعطى الأمان، فكيف نجده له؟.»

ـ «أن نمسك له بروحه التائهة التى قال لك عنها»

ـ «وأين نجدها هذه الروح؟.»

ـ «إنها رحلة البحث التى خاضتها إيزيس بحثًا عن أوزوريس»

بان الضيق على وجه حشمت، فهتف بأخيه:

ـ «إيزيس؟.. وأوزوريس؟.. هذا الصعلوك لا يعرف هذه الألغاز، ولا شأن له بها..»

لاحقه أشرف:

ـ «إذن، فأنت لا تعرفه.. هذا الذى تعتقد أنه صعلوك هو رجل مملوء بقدرات عالية.. العجيب أنه لا يعرفها، لكنه يحس بها. رجل يسلك طريقه فى الحياة بتناقض من يلعن

الواقع ثم يستثمره، يبحث عن المجهول ليجعله واقعًا. كان بإمكان الشعر أن يشفيه، ولكن الشعر لا يشفى الشياطين..»

ـ «وما الذى سيشفى هذا الشيطان؟»

ـ «السياسة.. المخاطرة، والمقامرة، والسعى إلى الانتحار»

ومضى أشرف بركات يحلل لأخيه ـ وربما لنفسه ـ رؤيته لهذه الحالة البشرية بناء على كل المعطيات التى اجتمعت لديه وما تبعها من معلومات جاءتها فى الطريق، ومنها اكتشاف حشمت نفسه أن للسيد شقيقًا اسمه أمير لم يسبق أن ذكر له اسمه.. ثم يكتشفان أن أميرًا هذا ليس سوى فقاعة نفسية تستحق التأمل.. فكلاهما جاء من بطن واحدة وينشدان هدفًا واحدًا كلٌّ بطريقته.. أمير غامض السلوك، لكن صعوده ملحوظ وسريع الإيقاع.. فهو المحاسب الصغير الذى تسبب فى طرد رئيس شركته، ثم اعتلى كرسيًّا فى مجلس الإدارة ثمنًا لبجاحته، يلعب السياسة بإيقاع هادئ.. يجيد المداهنة والنفاق.. يشمخ فى موضع، وينحنى فى موضع آخر.. رأسمالى الأداء، لكنه اشتراكى الصياح.. هو الشبل الحالى للأسد الذى سيكون.. شبل ينمو فى غابة آخذة فى النمو.. يتوارى بأشجارها حتى تفاجأ الحيوانات الأخرى بكونه صار ملكًا عليها.. يهدى صديقاته لرئيسه الدنىء.. نساؤه السخيات يفرشن أجسادهن له ولأصدقائه دون أن يتهمنه بالقوادة.. فهو قائد بالنهار وقواد فى الليل..

عقب حشمت بركات على ما سمعه بالتأييد، وأسر فى نفسه حقيقة أن السيد يقوم معه بمهمة القوادة بنفس كفاءة ما يؤديه أمير مع رئيسه الأعلى إلى أن قال له أشرف:

ـ «هذان يا حشمت يعزفان نفس النغمة على نفس الكمان.. هما شيطانا الزمن القادم.. زمن ما بعد النكسة.. زمن المساومة على كل شىء بما فى ذلك الأرض والعرض»

تساءل حشمت باهتمام: «ألن تنتهى خسائر النكسة إلى ما نحن عليه الآن؟..»

ـ «الخسائر تتوالى.. المعركة العسكرية التى خسرناها ستضْحى ذات يوم هى أقل خسائرنا على الإطلاق..»

ـ «لقد اخترنا الحليف الخطأ.. الروس..»

ـ «هم انكسر سلاحهم.. أما نحن فقد انكسرت أرواحنا»

ـ «من منا خسر الآخر.. نحن أم الأمريكان؟»

ـ «نحن الذين خسرناهم..»

فحصه حشمت بعين حائرة:

ـ « ألأنك يا أشرف تعذبت بالفقر فى طفولتك والتشرد فى شبابك.. صرت هكذا؟»

ـ «ما الذى صرت عليه؟»

ـ «تعادى الاشتراكية سرًّا، وتناصر الرأسمالية أيضًا سرًّا؟»

ابتسم وهو يفرغ غليونه من رماده المحترق:

ـ «سل صديقك السيد النحال.. ما مذاق الفقر على لسانه؟. وما ألم الجوع؟. وما طعم الضياع؟..»

ـ «أخشى أن تكون قد آمنت بهذا الداهية لأنه ذكرك بنفسك»

ـ «ليس إيمانًا وحبًّا بقدر ما هى رغبة الفنان الجامحة أن يضع لمسة مدهشة فى لوحة ناقصة لفنان آخر..»

ـ «وكيف ستكون لمستك فى لوحة النحال الناقصة؟»

ـ «مقعد سياسى ..»

ـ «هكذا مرة واحدة..»

ـ «ليس مرة واحدة.. المحليات.. ثم عضوية الاتحاد الاشتراكى.. ثم التنظيم الطليعى.. ثم مجلس الأمة..»

ـ «لو حدث هذا، فسوف يكون أصغر الأعضاء سنًّا.. وأسوأهم خلقًا.. وأكثرهم تآمرًا... وأرقاهم نفاقًا.. وأعمقهم حقدًا.. وأغناهم سفالة..»

ـ «ولذا، سوف يكون أفهمهم.. سياسة..»

* * *

للوهلة الأولى لم ينخدع السيد النحال فى ذلك المرح المهلل الذى طغى على صوت صديقه حشمت بركات فى التليفون، فهو لم يعد يأمن جانبه فقط، ولكنه عاد يخشى

سطوته.. واتفقا على لقاء منفرد فى الفيلا، وهناك بادره حشمت بصوت عميق هادئ:

ـ «سيد.. ارفع بنفسك الحجارة التى وضعتها فى الطريق»

ـ «أىّ طريق؟»

ـ «الذى سيصل بك إلينا..»

ـ «إنها متاريسى التى تحمينى وتمنعكم من الوصول لتفجيرى..»

ـ «لا مصلحة لنا فى تفجيرك.. ونخشى أن تفجر نفسك بنفسك»

ـ «لن يردعكم عنى سوى جمال عبد الناصر.. حامى المظلومين»

ـ «ما أنت بمظلوم.. أنت لص.. وتاجر مخدرات»

ـ «لا دليل عندكم لإدانتى»

ـ «لن نعجز عن الإمساك بالدليل.. ولكننا نصبو إلى كسبك»

ـ «هل هذا مطلبك الشخصى؟»

ـ «بل مطلب الرجل الكبير الذى قرأك فى دقائق ولخصك فى سطور»

ـ «أنور السادات؟»

ـ «قلت لك.. أشرف بركات»

ـ «وبماذا أوصاك»

ـ «أن أعطيك الأمان.. ليرتب لك المكان»

ـ «أى مكان؟»

ـ «يقول إنه المكان الذى تستحقه.. كرسى فى البرلمان»

ـ «لا أملك دائرة قد يحبنى أهلها.. فأنا بعيد عنهم»

ـ «سنخلق لك الدائرة التى تليق بك..»

ـ «هذا الكرسى سيشير إلى مكانى.. وأنه مكانى الأمثل هو الخلاء والخفاء»

ـ «أنت تستهين به؛ لأنك لم تجرب سحر قوته..»

ـ «أىّ قوة فى نفق له باب واحد من الممكن اصطيادى به؟»

ـ «مغفل.. فهو نفق متعدد المخارج..»

ـ «جمال عبد الناصر أهان أحد كبار رجاله؛ لأنه خرج بأجهزة لم يدفع عنها جمارك فى المطار.. لو كان مواطنًا عاديًّا هو الذى فعل ذلك لما عرف عبد الناصر»

ـ «سقطة ساذجة من مسئول كبير انتهى عصره.. العصر القادم بحاجة إلى رجال من نوع آخر.. رجال أذكياء رجال دنائتهم أكبر من أن يسرقوا جمرك ثلاجة»

ـ «كيف يتغير العصر ورجاله باقون كما هم.. والزعيم نفسه ما زال جاثمًا على كرسيه..؟»

ـ «المردة والشياطين خُدعوا فى جثوم سليمان على كرسيه.. النمل هو الذى أشار إلى موته»

ـ «أتريد القول أن عبد الناصر يتكئ على عصا قوامها الخواء؟»

ـ «المردة الذين يحيطونه لا يعلمون ذلك..»

ـ «تتحدث عن عبد الناصر أمام الناس بحب.. وأمامى بكراهية.. لماذا؟»

ـ «ابحث معى عن حب يمكن أن تعطيه لرجل تخشاه طول الوقت، رجل كالنقمة.. لكنه نقمة جميلة»

ـ «أو نعمة سيئة»

تأمله حشمت بركات بعمق :

ـ «نعمة سيئة؟.. هل تدرى أن هذا الوصف ينطبق عليك؟»

ـ «وقد ينطبق على الرئيس المطلوب لهذه البلاد وهؤلاء العباد»

ـ «لا رئيس قادم.. عبد الناصر هو هرمك الرابع الذى لن يتزحزح»

ـ «سيتزحزح»

ـ «من هو المجنون الذى يحاول إزاحة جبل من مكانه؟»

ـ «الموت..»

ـ «ومن الذى سيستدعيه؟»

ـ «من يستحق المكان.. جونسون أزاح كنيدى.. بالموت»

ـ «ماذا تقول أيها المجنون؟»

ـ «والموت سيزيح حكمت وبشاير»

ـ «فالأرض لك والفيلا..»

ـ «وإسرائيل أزاحت مصر من سيناء.. وسوريا من الجولان»

ـ «فالأرض لها.. منطق لص موغل فى اللصوصية»

ـ «السرقة تأخذ شرعيتها إذا ألبستها غطاءً أخلاقيًّا.. اليهود فعلوا ذلك بادعاء أنها أرض المعاد.. الأرض سرقوها ويرتاحون الآن قبل الوثوب لسرقة أرض أخرى..»

ـ «ولكنك لا ترتاح..»

ـ «أصحاب المشاريع العالية لا ينامون»

ـ «وعبد الناصر.. لا ينام»

ـ «لأن اللصوص عرفوا الطريق إلى منزله.. فكيف ينام؟»

ـ «الآن فقط عرفت أنه أجاد تقديرك.. أخى أشرف»

ـ «وأوصاك باحتوائى..»

ـ «وأخرج من ترابك تبرًا لم أكن أراه»

ـ «وطالبك أن تكبح جماحى..»

ـ «وأن تخفف سرعتك»

ـ «وأن أرفع الأحجار من طريقى بنفسى»

ـ «وتستجيب لنصائحى»

ـ «وأعيد خميسة إلى عصمتى؛ ليكسب جولة مع مكتب الرئيس»

ـ «وتعيد علاقتك بأمير»

ـ «لأننا جناحان فى طائر واحد»

ـ «هناك دائرتان فى انتظاركما..»

ـ «وماذا عن فوزية..؟»

ـ «تزوجها، وضع خميسة أمام الأمر الواقع»

ـ «وعنتر الذى خاننى وتعاون معكما وأفشى أسرارى؟»

ـ «احتفظ به، فلا عربة بلا حمار يسحبها..»

ـ «ولا قضية بلا مغفل يحملها عنا..»

ـ «يعجبنى ذكاؤك..»

ـ «ورجالى..؟»

ـ «سندربهم على أشياء جديدة..»

ـ «مثل ماذا؟»

ـ «اجتياز الحدود.. الباطنية لا تليق بهم..»

ـ «يمكنهم اجتياز المستحيل.»

ـ «وهكذا يمكننا أن نتفق»

ـ «وأنا جاهز..»

ـ «على بركة الله..»

obeikan.com